

المتن: فَأَمَّا إِنْ اِمْتَنَعَ مِنَ الْإِخْبَارِ وَالْإِحْضَارِ، لئَلَّا يَتَعَدَّى عَلَيْهِ الطَّالِبُ أَوْ يَظْلِمَهُ، فَهَذَا مُحْسِنٌ. وَكَثِيرًا مَا يَشْتَبِهُهُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، وَيَجْتَمِعُ شَبْهَةٌ وَشَهْوَةٌ. وَالْوَاجِبُ تَمْيِيزُ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ. وَهَذَا يَقَعُ كَثِيرًا فِي الرُّسَاةِ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَالْحَاضِرَةِ، إِذَا اسْتَجَارَ بِهِمْ مُسْتَجِيرٌ، أَوْ كَانَ بَيْنَهُمَا قَرَابَةٌ أَوْ صَدَاقَةٌ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ الْحِمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ، وَالْعِزَّةَ بِالْإِثْمِ، وَالسُّمْعَةَ عِنْدَ الْأَوْبَاشِ: أَنَّهُمْ يَنْصُرُونَهُ وَيَحْمُونَهُ -وإن كَانَ ظَالِمًا مُبْطِلًا- عَلَى الْمُحِقِّ الْمَظْلُومِ؛ لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْمَظْلُومُ رَئِيسًا يُنَاوِثُهُمْ وَيَنَاوِثُونَهُ، فَيَرَوْنَ فِي تَسْلِيمِ الْمُسْتَجِيرِ بِهِمْ إِلَى مَنْ يَنَاوِثُهُمْ ذُلًّا أَوْ عَجْزًا؛ وَهَذَا -عَلَى الْإِطْلَاقِ- جَاهِلِيَّةٌ مُحْضَةٌ. وَهِيَ مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ فَسَادِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ سَبَبٌ كَثِيرٌ مِنْ حُرُوبِ الْأَعْرَابِ، كَحَرْبِ الْبَسُوسِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ بَنِي بَكْرٍ وَتَغْلِبَ، إِلَى نَحْوِ هَذَا، وَكَذَلِكَ سَبَبٌ دُخُولِ التُّرْكِ، وَالْمَغُولِ دَارَ الْإِسْلَامِ، وَاسْتِيلَانِهِمْ عَلَى مُلُوكِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَخُرَاسَانَ: كَانَ سَبَبُهُ نَحْوُ هَذَا.

وَمَنْ أَدَلَّ نَفْسَهُ لِلَّهِ فَقَدْ أَعَزَّهَا، وَمَنْ بَدَّلَ الْحَقَّ مِنْ نَفْسِهِ فَقَدْ أَكْرَمَ نَفْسَهُ، فَإِنَّ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاهُمْ. وَمَنْ اعْتَزَّ بِالظُّلْمِ: مِنْ مَنَعَ الْحَقَّ، وَفَعَلَ الْإِثْمَ، فَقَدْ أَدَلَّ نَفْسَهُ وَأَهَانَهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: 10]. وَقَالَ تَعَالَى عَنِ الْمُتَنَافِقِينَ: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُتَنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: 8]. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي صِفَةِ هَذَا الضَّرْبِ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: 204 - 206]

إذا خاف الإنسان إن أخبر على المعتدي على حق غيره أن يناله ظلمٌ سواءً من الوالي أو نائبه أو من صاحب الحق فيقع عليه ظلمٌ أكبر فإنه لا يلزمه أن يخبره ومحسنٌ بامتناعه عن الإعلام والإخبار

إذا امتنع محاباةً وعصبيةً وممالأةً

إذا امتنع الإنسان عن الإعلام والإخبار

إذا امتنع عن الإخبار والإعلام لأنه زعيمٌ وكبيرٌ ويظن أن هذا ينال من رئاسته أو ينال من مقامه أو سيادته على قومه فإنهم يرون الحمية الجاهلية ويعتزون بالإثم والسُّمْعَةَ عِنْدَ الْأَوْبَاشِ¹ وأحياناً قد يكون المظلوم رئيساً فهم أيضاً لا ينتصرون له لأنهم يرون أن النصرة له أو إيصال الحق له أن هذا ضعفٌ

¹ الأوباش: المراد بها هنا: العامة أو الأتباع وإلا أصل الأوباش في المصطلح العربي هم: الأخلاط من القبائل وغيرهم ويقال: أوباش ويقال: أبواش، في اللغة تتبادل الحرفان: أبواش، وأوباش، وكما أنه يطلق الأوباش على سفلة الناس، وأيضاً يقولون: وبش الكلام يعني رديئه

إذا امتنع الإنسان
عن الإعلام والإخبار

يَقَعُ كثيرا الخلط بين العصبية والشهوة وبين الشهية، خاصةً الشبهة أحياناً تكون قلبيةً ولهذا أحياناً قد يكون ردها إلى الإنسان نفسه وإلى فقه نفسه وإلى تقواه وإلى ورعه فإذا كان عنده من الدين وعنده من الورع والتقوى وعنده من الإنصاف حينئذٍ لا يلتبس عليه أو يختلط عليه ما كان شبهةً وما كان شهوةً الشهوة مثل هذه أن يكون رئيساً وأن يكون كذا ويخشى على سمعته ويخشى كذا وكذا أو عصبيةً وحميةً كل هذه شهوة

لا تفسد الدنيا ولا الدين إلا بهذا
النوع من الظلم وهو منع تسليم
من عليه الحق لمن يأخذ منه
الحق وهذا هو الفساد

فساد الولاة ومنع المظلوم من أن ينال حقه وحماية الظالم كانوا
سَبَباً فِي كَثِيرٍ مِنْ حُرُوبِ الْأَعْرَابِ كَحَرْبِ الْبُسُوسِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ
بَنِي بَكْرٍ وَتَغْلِبَ، إِلَى نَحْوِ هَذَا وَكَذَلِكَ سَبَبَ دُخُولِ التُّرْكِ وَالْمَغُولِ
دَارَ الْإِسْلَامِ وَاسْتِيلَاؤَهُمْ عَلَى مُلُوكِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَخُرَاسَانَ

هذا هو الذي يجب أن يستقر في نفوس كل مسلم فضلاً عن العلماء وعن الوجهاء والذين أيضاً تُنال
الحقوق عن طريقهم

مَنْ أَذَلَّ نَفْسَهُ لِلَّهِ فَقَدْ أَعَزَّهَا
وَمَنْ بَذَلَ الْحَقَّ مِنْ نَفْسِهِ
فَقَدْ أَكْرَمَ نَفْسَهُ فَإِنَّ أَكْرَمَ
الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاهُمْ

هذا النوع من التفسير أو التأويل لقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13] يعني
التقوى لا شك أنها تنتظم كل شئون أفعال الإنسان فبقدر ما يكون الإنسان نقياً في أفعاله يكون كريماً
على الله عز وجل وكريماً على الناس ولهذا قال: من أذل نفسه لله ومن بذل الحق من نفسه فقد
أعزها وقد أكرم نفسه "فَإِنَّ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاهُمْ"

ومع الأسف أنه يسود مثل هذا كل ما قلّ الورع وقلّ الدين وقلّ الفقه يظن أنه اعترز بينما أذل، شبهة
وشهوة يظن أنه يرتفع في الدنيا وتكون له السمعة الكبيرة والمقام الكبير الأرفع عند الناس بل من فعل
ذلك أذل نفسه ومنع الحق وفعل إثماً وأهان نفسه

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: 10] الذي يريد العزة طريقها هو الله
سبحانه وتعالى ولا يمكن أن تُنال العزة بالظلم ولا بالكذب ولا بالافتراء ولا بالعصبية ولا بالحمية أبداً
العزة تُنال عن طريق سبيل الله عز وجل

مَنْ اعْتَرَزَ بِالظُّلْمِ مِنْ مَنَعَ
الْحَقَّ، وَفَعَلَ الْإِثْمَ، فَقَدْ
أَذَلَّ نَفْسَهُ وَأَهَانَهَا

المنافقون يرون في أنفسهم أنهم الأعزة وأنهم أهل المدينة فقالوا هذه المقالة الشنيعة ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا
إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: 8] يعني سيمنعون النبي ﷺ من دخول المدينة
وأصحابه ويظنون أنهم هم الأعز بهذا فرد الله عز وجل عليهم بقاعدة وهي: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: 8] في كل مكان وفي كل زمان وفي كل الأحوال، العزة أبداً هي لله ولرسوله
والمؤمنين ولهذا قال في أعقاب انكسار يوم أحد: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ مع أنهم مهزومون عسكرياً قال: ﴿وَلَا
تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ فالمؤمنون هم الأعلون سواء في حال الانتصار أو في حال الهزيمة
ويجب أن يستقر هذا في قلوب المؤمنين عموماً ولا سيما أهل العلم والفضل والدعاة والصالح وولاة الأمور

إذا امتنع الإنسان
عن الإعلام والإخبار

قال الله تعالى ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُوا عَلَىٰ عِزِّهِمْ أَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ [النساء: 138، 139] وقال ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: 204 - 206] إذا قيل له اتق الله بمعنى راقب الله عز وجل وخفه فيما وعظ، عادة لا يوعظ إلا في حال تقصير وغفلة فينبه فهذا الموعوظ حينما قيل له: اتق الله أخذته العزة بالإثم يعني انصرف عن تقوى الله واعتز بانحرافه وما هو عليه من الظلم ومن المعصية أو المخالفة فإما أن ينفي يقول: ما فعلت شيئا، وإما أن يقول: هذا ما فيه شيء، وإما أن يحاول أن يسوِّغه أو يبرره وشبه استكبر بحيث أنه لم يستسلم لهذا الناصح الأمين

وَأِنَّمَا الْوَاجِبُ عَلَىٰ مَنْ اسْتَجَارَ بِهِ مُسْتَجِيرٌ، إِنْ كَانَ مَظْلُومًا يَنْصُرُهُ.

وَلَا يَتَّبِعُ أَنَّهُ مَظْلُومٌ بِمَجَرَّدِ دَعْوَاهُ؛ فَطَالَمَا اشْتَكَى الرَّجُلُ وَهُوَ ظَالِمٌ، بَلْ يَكْشِفُ خَبْرُهُ مِنْ خَصْمِهِ وَغَيْرِهِ، فَإِنْ كَانَ ظَالِمًا رَدَّهُ عَنِ الظُّلْمِ بِالرَّفْقِ إِنْ أَمَكَ، إِمَّا مِنْ صُلْحٍ أَوْ حُكْمٍ بِالْقِسْطِ، وَإِلَّا فَبِالْقُوَّةِ. وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهُمَا ظَالِمًا مَظْلُومًا كَاهِلِ الْأَهْوَاءِ، مِنْ قَيْسٍ وَيَمَنٍ وَنَحْوِهِمْ. وَأَكْثَرُ الْمُتَدَاعِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَالْبَوَادِي، أَوْ كَانَا جَمِيعًا غَيْرَ ظَالِمِينَ. لِشُبُهَةِ أَوْ تَأْوِيلِ، أَوْ غَلْطٍ وَقَعَ فِيمَا بَيْنَهُمَا، سَعَىٰ بَيْنَهُمَا بِالْإِصْلَاحِ، أَوْ الْحُكْمِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 9 - 10]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114]، وقد روى أبو داود في السنن. عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: أَمِنْ الْعَصِيَّةِ أَنْ يَنْصُرَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ فِي الْحَقِّ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا»، قَالَ: «وَلَكِنْ مِنْ الْعَصِيَّةِ أَنْ يَنْصُرَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ فِي الْبَاطِلِ»، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ الْمُدَافِعُ عَنْ قَوْمِهِ مَا لَمْ يَأْتُمْ». وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الَّذِي يَنْصُرُ قَوْمَهُ بِالْبَاطِلِ كَبَعِيرٍ تَرْدَىٰ فِي بُئْرٍ فَهُوَ يُجْرُ بِذَنْبِهِ». وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَمِعْتُمُوهُ يَنْعَزِي بَعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُوهُ بِهِنَّ أَبْيِه. وَلَا تُكْتُوا»، وَكُلُّ مَا خَرَجَ عَنْ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ: مِنْ نَسَبٍ أَوْ بَلَدٍ، أَوْ جِنْسٍ أَوْ مَذْهَبٍ، أَوْ طَرِيقَةٍ: فَهُوَ مِنْ عَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، بَلْ لَمَّا احْتَصَمَ رَجُلَانِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبْدَعُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ».

وَعَظِبَ لِذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا

لا يُسمع كلامه مباشرة وإنما على من يستطيع أن يأخذ الحق أو أن يُبلغ أو أن يُعلم إلى آخره عليه أن يتثبت يعني لا تُقبل الدعوة بمجرد حتى ولو عليه آثار اعتداء أو آثار أنه مظلوم

من ادعى
أنه مظلوم

الله عز وجل قال في إخوة يوسف: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: 16] فمظهر البكاء قد يدل على أن الإنسان مظلوم وأنه مُحَقٌّ وأنه صاحب حق ولهذا: من جاءك وقد فُتِنَتْ عينه فقد يكون الآخر قد فُتِنَتْ عيناه فيتبين فقد يرى اعتداء أكثر أو غيره من أدوات كشف الحقيقة

إِمَّا بِصَلَحٍ إِذَا كَانَ الْحَقُّ فِيهِ مُشْتَبِهًا

إِذَا كَانَ الْحَقُّ بَيِّنًا فَلَا يَنْبَغِي لِلْقَاضِي أَوْ غَيْرِهِ مِمَّنْ صَارَ فِي مَقَامِ التَّحْكِيمِ أَنْ يُلْجَأَ إِلَى الصَّلَاحِ بَلْ أَحْيَاءًا قَدْ لَا يَكُونُ هَذَا مِنَ الْقَضَاءِ الْعَدْلِ مَا دَامَ أَنَّ الْحَقَّ بَيِّنٌ وَظَهَرَ بِالْقَرَائِنِ

إِمَّا بِحُكْمٍ
بِالْقِسْطِ

بِالرَّفَقِ

يُرَدُّ الَّذِي
اسْتَجَارَ بِهِ

إِنْ كَانَ ظَالِمًا

إِذَا كَانَ يَمْلِكُ الْقُوَّةَ كَانَ يَكُونُ قَاضِيًا أَوْ يَكُونُ وَالِيًا يَمْلِكُ الْقُوَّةَ وَالسُّلْطَةَ أَمَا إِذَا كَانَ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ سُلْطَةٌ مَعْلُومَةٌ أَوْ هَذَا لَا يُكَلِّفُ أَنْ يَأْخُذَ الْحَقُّ بِالْقُوَّةِ بَلْ قَدْ يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ ضَرَرٌ أَكْبَرُ بَلْ قَدْ يَكُونُ افْتِنَايَاتٌ عَلَى الْإِمَامِ وَعَلَى نَوَابِهِ

بِالْقُوَّةِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات: 10] وَاللَّهُ لَمْ يُبَيِّنْ مِنْ هِيَ الظَّالِمَةُ أَوْ الْبَاطِلَةُ ﴿فَإِنْ بَغَتْ﴾ حِينَئِذٍ تَبَيَّنَ مَنْ هُوَ الظَّالِمُ ﴿فَقَاتِلُوا اللَّيَّ تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: 10]

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114] بِمَعْنَى: أَنْ مَا يَتَنَاجَى فِيهِ النَّاسُ فَيَخُوضُونَ فِي أَحَادِيثِهِمْ كَثِيرٌ فِيهِ لَا خَيْرَ فِيهِ لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ إِثْمٌ لَكِنْ مَا فِيهِ خَيْرٌ ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ لَاشْكَ أَنْ مَنْ تَصَدَّقَ أَفْضَلَ لَكِنْ الْكَلَامُ فِي الْحَدِيثِ ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ يَعْنِي إِحْسَانًا قَدْ يَأْمُرُ غَنِيًّا أَوْ يَأْمُرُ مُسْتَطِيعًا أَوْ يُذَكِّرُ ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ مَا يَجْرِي بَيْنَ النَّاسِ مِنْ وَجْهِ الْإِحْسَانِ وَحَسَنِ الْمَعَامَلَاتِ وَالْعِلَاقَاتِ ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ بِمَعْنَى إِذَا كَانَ بَيْنَهُمَا مُتَخَاصِمِينَ أَوْ مُتَشَاكِلِينَ أَوْ بَيْنَهُمَا أُمُورٌ تَسْتَحِقُّ التَّدْخُلَ مِنْ أَجْلِ الصَّلَاحِ لِإِزَالَةِ مَا فِي النَفُوسِ وَالْخَوَاطِرِ وَفِي الْقُلُوبِ فَهَذَا أَيْضًا مِنْ خَيْرٍ مَا يَفْعَلُهُ النَّاسُ فِي نَجْوَاهُمْ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ إِذْنًا عِنْدَنَا أَنْ التَّصَدَّقَ وَالْمَعْرُوفَ وَالْإِصْلَاحَ خَيْرٌ مُّطْلَقٌ حَتَّى وَإِنْ لَمْ يَقْصِدْ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ لِأَنَّهُمْ إِحْسَانٌ لَكِنْ مَنْ يَفْعَلُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا فَالْأَجُورُ الْعَظِيمُ لِمَنْ أَخْلَصَ وَأَحْسَنَ نِيَّتَهُ

حِينَئِذٍ يَسْعَى
بَيْنَهُمَا بِالْإِصْلَاحِ
أَوْ بِالْحُكْمِ

إِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهُمَا
ظَالِمًا مَظْلُومًا أَوْ كَانَا
جَمِيعًا غَيْرَ ظَالِمِينَ

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: أَمِنْ الْعَصِيَّةِ أَنْ يَنْصُرَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ فِي الْحَقِّ؟ فَقَالَ ﷺ: «لَا وَلَكِنْ مِنَ الْعَصِيَّةِ أَنْ يَنْصُرَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ فِي الْبَاطِلِ» هَذَا هُوَ مِيزَانُ الْعَصِيَّةِ وَمِيزَانُ التَّحَرُّبِ وَالْحَزْبِيَّةِ هُوَ أَنْ تَنْصُرَ أَهْلَ الْبَاطِلِ أَوْ تَكُونَ مَعَهُمْ عَلَى حَقِّهِمْ وَبَاطِلِهِمْ

قَالَ ﷺ: «خَيْرُكُمْ الْمَدَافِعُ عَنْ قَوْمِهِ مَا لَمْ يَأْتُمْ» يَعْنِي مَا لَمْ يَقَعْ فِي الْإِثْمِ إِمَّا بِعَصِيَّةٍ أَوْ بِظُلْمٍ أَوْ بِحِيْفٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ وَإِلَّا لَا شَكَّ أَنَّ الْمَدَافِعَ عَنِ الْقَوْمِ إِذَا كَانُوا مَظْلُومِينَ أَوْ عَلَى الْحَقِّ وَيُؤْخَذُ مِنْهُمْ الْحَقُّ، فَنَعَمْ، وَلَا يُعَدُّ هَذَا عَصِيَّةً فَالْمَدَافِعُ عَنْ قَوْمِهِ وَعَنْ حَزْبِهِ وَعَنْ طَائِفَتِهِ وَعَنْ مَذْهَبِهِ مَا دَامَ أَنَّهُمْ مَظْلُومُونَ فَهَذَا لَيْسَ مَمْنُوعًا فِي الْإِسْلَامِ

العصية والتحزب

قَالَ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَنْصُرُ قَوْمَهُ بِالْبَاطِلِ كَبَعِيرٍ تَرَدَّى فِي بئرٍ فَهُوَ يَجُرُّ بِذَنْبِهِ» وَضُبُّهُ أَيْضًا: «فَهُوَ يَجُرُّ بِذَنْبِهِ» الشَّيْخُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي «الْنَهَايَةِ» قَالَ: «أُرِيدُ أَنْ يُنْزَعَ بِذَنْبِهِ فَلَا يُقَدَّرُ عَلَى خُلَاصِهِ» ثِقَلُ الْبَعِيرِ وَكِبَرُهُ وَضَيْقُ الْبَثْرِ وَصَغَرُ الذِّلِّ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَذَ الْبَعِيرُ وَقَدْ سَقَطَ فِي بئرٍ بِأَنْ تَجْرَهُ بِذَنْبِهِ هَذَا لَا يُمْكِنُ بِمَعْنَى أَنَّكَ لَنْ تَصِلَ إِلَى حَقٍّ وَلَا نَتِيجَةٍ وَإِنَّمَا تَزْدَادُ فِي الْبَاطِلِ.

قَالَ ﷺ: «مَنْ سَمِعْتُمُوهُ يَتَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُوهُ بِهِنَّ أَبِيهِ وَلَا تُكْنُوا» هُنَّ أَبِيهِ يَعْنِي ذَكَرَ أَبِيهِ لِأَنَّهُ مَا كَانَ لَكَ عَلاَقَةٌ بِعَصْبِيَّةٍ إِلَّا عَنْ هَذَا الطَّرِيقِ طَرِيقَ ذَكَرِ أَبِيكَ وَهَذَا لَيْسَ لَكَ فِيهِ فَضْلٌ وَلَا كَسْبٌ وَإِنَّمَا أَتَيْتَ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ، الَّذِي أَحْيَانًا أَيْضًا طَرِيقَتَكَ قَدْ يَكُونُ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ «وَلَا تُكْنُوا» لِأَنَّ الْهَنْ هُوَ طَبْعًا هُنَّ بِمَعْنَى: حَقٌّ، يَعْنِي فَهُوَ تَكْنِيَّةٌ

”وَكُلُّ مَا خَرَجَ“ وهذا ضابطٌ ينبغي أن يفقهه وأن يتمثله وأن يستيقنه أهل العلم خاصة وعموم الدعاة والمسلمين عامة ولا سيما في وقتنا الحاضر حينما ابتلي الناس بالتصنيف وابتلوا بوجود الأحزاب والمذاهب والفرق والطوائف هذه سنة الله في البشرية كلها وليس المسلمين وحدهم وجود الفرق والمذاهب والقبائل والمناطق وانقسام الناس بأنواع الانقسامات هذا سنة الله ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: 118، 119] ولهذا أقر النبي ﷺ أن تدافع عن قومك بالحق وليس من عصبية فإن تدافع عن مذهبك أو عن طائفتك أو عن حزبك بالحق هذا لا إشكال فيه

”وَكُلُّ مَا خَرَجَ عَنْ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ: وَكُلُّ مَا خَرَجَ عَنْ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ: مِنْ نَسَبٍ أَوْ بَلَدٍ، أَوْ جِنْسٍ أَوْ مَذْهَبٍ، أَوْ طَرِيقَةٍ: فَهُوَ مِنْ عَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ“

العصبية
والتحزب

اختصم غلامان على بئر ماءٍ في غزوة بني قريظة فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين، لاشك أنها طبعاً دعوة عصبية مع أن الأنصار وصف مدح والمهاجرون وصف مدح، الله عز وجل أثنى على المهاجرين والمهاجرون أفضل من الأنصار لأن المهاجرين الله وصفهم بالوصفين لهم وصف الهجرة ولهم وصف النصرة ولهذا قال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الحشر: 8] ومع هذا حينما تداعاها هذان الغلامان على جهة العصبية مباشرة نبينا محمد ﷺ أصدر قاعدته: «أَبْدَعُوا الْجَاهِلِيَّةَ» فهذه دعوة جاهلية فكذلك أي تحزب على مذهب أو على طائفة أو على منطقة أو على قوم أو على قبيلة كله من هذا القيل ولهذا غضب النبي ﷺ لذلك غضباً شديداً

فصل وَأَمَّا السَّارِقُ فَيَجِبُ قَطْعُ يَدِهِ الْيُمْنَى بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [المائدة: 38 - 39].

وَلَا يَجُوزُ بَعْدَ ثُبُوتِ الْحَدِّ بِالْبَيِّنَةِ، أَوْ بِالِاقْتِرَارِ تَأْخِيرُهُ: لَا بِحَبْسٍ وَلَا مَالٍ يُفْتَدَى بِهِ وَلَا غَيْرُهُ، بَلْ تُقَطَّعُ يَدُهُ فِي الْأَوْقَاتِ الْمُعْظَمَةِ وَغَيْرِهَا، فَإِنَّ إِقَامَةَ الْحَدِّ مِنَ الْعِبَادَاتِ، كَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُعْرِفَ أَنَّ إِقَامَةَ الْحُدُودِ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ بِعِبَادِهِ، فَيَكُونُ الْوَالِي شَدِيدًا فِي إِقَامَةِ الْحَدِّ، لَا تَأْخُذُهُ رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ فَيَعْطِلُهُ، وَيَكُونُ قَصْدُهُ رَحْمَةَ الْخَلْقِ بِكَفِّ النَّاسِ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ؛ لَا شِفَاءَ غَيْظِهِ، وَإِرَادَةَ الْعُلُوِّ عَلَى الْخَلْقِ: بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ إِذَا أَدَّبَ وَلَدَهُ؛ فَإِنَّهُ لَوْ كَفَّ عَنْ تَأْدِيبِ وَلَدِهِ، كَمَا تُشِيرُ بِهِ الْأُمُّ رِقَّةً وَرَأْفَةً، لَفَسَدَ الْوَلَدُ، وَإِنَّمَا يُؤَدِّبُهُ رَحْمَةً بِهِ، وَإِصْلَاحًا لِحَالِهِ؛ مَعَ أَنَّهُ يُؤَدِّبُهُ وَيُؤَثِّرُ أَنْ لَا يُحَوِّجَهُ إِلَى تَأْدِيبٍ، وَبِمَنْزِلَةِ الطَّبِيبِ الَّذِي يَسْقِي الْمَرِيضَ الدَّوَاءَ الْكَرِيهَ، وَبِمَنْزِلَةِ قَطْعِ الْعُضْوِ الْمُتَأَكِّلِ، وَالْحَجْمِ، وَقَطْعِ الْعُرُوقِ بِالْفَصَادِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ بَلْ بِمَنْزِلَةِ شُرْبِ الْإِنْسَانِ الدَّوَاءَ الْكَرِيهَ، وَمَا يُدْخِلُهُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْمَشَقَّةِ لِيَنَالَ بِهِ الرَّاحَةَ.

فَهَكَذَا شُرِعَتْ الْحُدُودُ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ نِيَّةُ الْوَالِي فِي إِقَامَتِهَا، فَإِنَّهُ مَتَى كَانَ قَصْدُهُ صَلَاحَ الرَّعِيَّةِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ، يَجْلِبُ الْمُنْفَعَةَ لَهُمْ، وَدَفَعَ الْمَضَرَّةَ عَنْهُمْ، وَابْتَغَى بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى، وَطَاعَةَ أَمْرِهِ: أَلَا إِنَّ اللَّهَ لَهُ الْقُلُوبَ، وَتَيَسَّرَتْ لَهُ أَسْبَابُ الْخَيْرِ، وَكَفَاهُ الْعُقُوبَةُ الْبَشَرِيَّةُ، وَقَدْ يُرْضَى الْمَحْدُودَ، إِذَا أَقَامَ عَلَيْهِ الْحَدَّ.

وَأَمَّا إِذَا كَانَ غَرَضُهُ الْعُلُوَّ عَلَيْهِمْ، وَإِقَامَةُ رِيَاسَتِهِ لِيُعْظِمُوهُ، أَوْ لِيَبْذُلُوا لَهُ مَا يُرِيدُ مِنَ الْأَمْوَالِ، انْعَكَسَ عَلَيْهِ مَقْصُودُهُ. وَيُرَوَّى أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَبْلَ أَنْ يَلِيَ الْخِلَافَةَ كَانَ نَائِبًا لِلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى مَدِينَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ قَدْ سَاسَهُمْ سِيَاسَةً صَالِحَةً، فَقَدِمَ الْحَجَّاجُ مِنَ الْعِرَاقِ، وَقَدْ سَامَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، فَسَأَلَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ عَنْ عُمَرَ. كَيْفَ هَيْبَتُهُ فِيكُمْ؟ قَالُوا: مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَنْظُرَ إِلَيْهِ هَيْبَةً لَهُ. فَقَالَ: كَيْفَ مَحَبَّتُكُمْ لَهُ؟ قَالُوا: هُوَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَهْلِنَا، قَالَ: فَكَيْفَ أَدَبُهُ فِيكُمْ؟ قَالُوا: مَا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ الْأَسْوَاطِ إِلَى الْعَشْرَةِ. قَالَ: هَذِهِ هَيْبَتُهُ، وَهَذِهِ مَحَبَّتُهُ، وَهَذَا أَدَبُهُ، هَذَا أَمْرٌ مِنَ السَّمَاءِ

قطع يد السارق من الحدود المجمع عليها

فَيَجِبُ قَطْعُ يَدِهِ الْيُمْنَى بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَالْإِجْمَاعِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

تُقَطَّعُ يَدُهُ الْيُمْنَى فِي حَالِ سَرْقَتِهِ الْأُولَى

لأن المراد الحسم والحزم وأيضاً حتى تؤدي العقوبة أثرها في المحدود وفي الناس لأن إقامة الحدود هي رحمة للناس ولهذا لا يؤخره زلاً يفاوضه على مال يدفعه مقابل أن يدرأ عنه الحد

لَا يَجُوزُ لِلْإِمَامِ بَعْدَ ثُبُوتِ الْحَدِّ بِالْبَيِّنَةِ أَنْ يُؤَخِّرَهُ لَا بِحَبْسٍ وَلَا مَالٍ

أوقات معظمة سواء قلنا الأشهر الحرم أو المكان الحرم إلى آخره

تُقَطَّعُ يَدُهُ فِي الْأَوْقَاتِ الْمُعْظَمَةِ وَغَيْرِهَا

"كَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" لِأَنَّهُ يُقِيمُ وَتَرْتَفِعُ بِهِ رَايَةُ الْإِسْلَامِ

إقامة الحد عبادة وطاعة لله عز وجل

عقوبة شديدة لكنها رحمةٌ مثلها كمثل طعم الدواء الكريه وكمثل قطع اليد إذا تأكلت إقامة الحدود رحمةٌ كما أن العلاجات رحمةٌ وكما أن الجراحات رحمةٌ

يَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ وَيَسْتَقَرَّ أَنَّ إِقَامَةَ الْحُدُودِ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ بِعِبَادِهِ

ينبغي للوالي أن يكون شديداً في إقامة الحد لا تأخذه رافة في دين الله فيعظله ولا يقصد شفاء غيظه ولا العلو ولا بسط هيئته أو نحو ذلك بل يقصد إقامة حق الله عز وجل والرحمة بالناس ومصلحتهم وبسط الأمن ليكيف المظالم بين الناس

منزلته كمنزلة الوالد إذا أدب ولده فهو يبقى ولده ويبقى الرافة والمحبة ولكن الوالد يؤدب وإن كان التأديب فيه شدة على الابن وفيه ألم فإنه لو كف عن تأديب ولده كما تشير به الأم لأن الأم عادة هي تميل إلى الرقة وتميل إلى التخفيف فإنه سوف يفسد الولد وإنما يؤدبه رحمةً به وإصلاحاً لحاله مع أنه لا يريد أن يؤدبه لكنه مضطراً إلى ذلك من أجل إصلاحه واستصلاحه

إن الله يلين للوالي القلوب وييسر له أسباب الخير ويكفيه أيضاً حتى عقوبة البشر أحياناً لا يعاقب لا على حدود وإنما عشرة أسواط وخمسة أسواط وثلاثة أسواط إلى آخره كما في قصة الحجاج مع عمر بن عبد العزيز التي ذكرها الشيخ

حد
السرقه